# عقوبات الذنوب والمعاصي
## مختصرة
## من كتاب الجواب الكافي لابن قيم الجوزية

محمد بن عبدالله العبدلي






بسم الله الرحمن الرحيم

# عقوبات الذنوب والمعاصي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فلما للذنوب والمعاصي من عواقب وخيمة في الدينا والآخرة، فإن من شؤم المعصية أنها تورث الذلّ، وقد كان بعض السلف يقول في دعائه: "اللهم أعِزَّني بطاعتك، ولا تُخْزِني بمعصيتك"[١]، وقال الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيتُ الذنوب تميت القلوبَ ... وقد يورث الذلَّ إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ... وأحبارُ سَوء ورُهبانُها[٢].

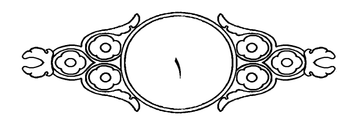
وتُفسد العقل فإن للعقل نورًا والمعصية تطفئ نوره ولا بدَّ، وقد ذكر الإمام الحافظ ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم الداء والدواء أو (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)[٣] عواقب الذنوب والمعاصي في أوراق كثيرة، من الكتاب، قمت باختصارها؛ ليسهل الاطلاع عليها في وقت وجيز، وتقريبها، ولا

---

(١) كان من دعاء جعفر بن محمد رحمه الله كما في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٥/ ٩١)، وفي الجواب الكافي (ص: ١٤٦)، بلفظ: «اللهم أعِزَّني بطاعتك، ولا تُذِلَّني بمعصيتك».

(٢) ينظر: المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري (٢/ ٣١)، والمعجم، لابن المقرئ (ص:٣٦٤)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم (٨/ ٢٧٩).

(٣) وذلك من (ص: ١٦٨)، إلى (ص: ٢٥٧)، وقد اعتمدت على الطبعة التي بياناتها: تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وخرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، سنة النشر: ١٤٢٩هـ.







يستغنى عن الكتاب، فالكتاب دواء كما سماه مؤلفه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن نكون قد وفقنا في اختصارها، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يجنبنا الزلل في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير.

**ومن جملة ما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مختصراً ما يلي:**

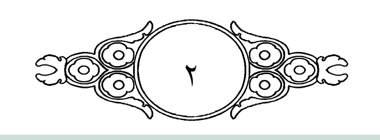
ومن عقوباتها: ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه.

ومن عقوبات الذنوب: أنّها تُضْعِف في القلب تعظيمَ الربّ جَلَّجَلَالُهُ، وتُضْعِف وقارَه في قلب العبد، ولا بدّ، شاء أم أبى. ولو تمكّن وقارُ الله وعظمتُه في قلب العبد لما تجرّأ على معاصيه.

ومن عقوباتها: أنها تستدعي نسيان الله لعبده، وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهنالك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.

ومن عقوباتها أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه من ثواب المحسنين. فإنّ الإحسان إذا باشر القلبَ منعَه من المعاصي، فإن من عَبَدَ الله كأنّه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبيّن إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها.

ومن عقوباتها: أنها تُضْعِفُ سيرَ القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه، أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدَعه يخطو إلى الله خطوةً. هذا إن لم تردّه عن وجهته إلى ورائه! فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنّما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيّره. فإن زالت بالكلّية انقطع عن الله انقطاعًا يبعُد تداركُه، والله المستعان.








فالذنب إما أن يميت القلب، أو يُمرضَه مرضًا مخوفًا، أو يضعف قوته، ولا بدّ.

ومن عقوبات الذنوب أنها تُزيل النعم وتُحِلّ النِّقَم. فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاءً إلا بتوبة.

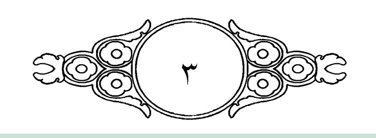
ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلاّ خائفًا مرعوبًا. فإنّ الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوفُ في حقّه أمانًا، ومن عصاه انقلبت مآمِنُه مخاوفَ.

ومن عقوباتها: أنها تُوقعُ الوحشةَ العظيمةَ في القلب، فيجد المذنب نفسَه مستوحشًا، قد وقعت الوحشة بينه وبيّن ربه، وبينه وبيّن الخلق، وبينه وبيّن نفسه، وكلّما كثرت الذنوب اشتدّت الوحشة.

ومن عقوباتها: أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضًا معلولًا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلا تركها.

ومن عقوباتها: أنها تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية.

ومن عقوباتها: أنها تصغر النفس، وتقمعها، وتدسيها، وتحقرها، حتى تكون أصغر كل شيء وأحقره، كما أنّ الطاعة تنمّيها وتزكّيها وتكبّرها.









ومن عقوباتها: أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسير مسجون مقيد، ولا أسير أسوأ حالا من أسير أسره أعدى عدو له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة، فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ وكيف يخطو خطوة واحدة؟

وإذا تقيّد القلب طرقته الآفاتُ من كل جانب بحسب قيوده.

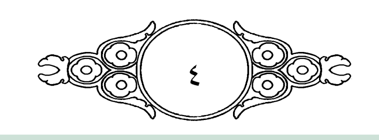
ومن عقوباتها: سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد تكون له منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده.

ومن عقوباتها: أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والصالح، والعابد، والخائف، والأواب، والطيب، والمرضي، ونحوها.

ومن عقوباتها: أنها تؤثِّر بالخاصيّة في نقصان العقل، فلا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله والآخر عاص، إلا وعقل المطيع منهما أوفر وأكمل، وفكره أصح، ورأيه أسد، والصواب قرينه؛ ولهذا تجد خطاب القرآن إنما هو مع أولي العقول والألباب.

ومن أعظم عقوباتها: أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير، واتصلت به أسباب الشرّ.

فأيّ فلاح وأيّ رجاء وأيّ عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه وبيْن وليّه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين، ولا بدّ له منه، ولا عوض له عنه، واتصلت به أسباب الشر، ووصل ما بينه وبيْن أعدى عدوّ له، فتولاّه عدوّه، وتخلّى









عنه وليّه؟ فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من أنواع الآلام وأنواع العذاب!

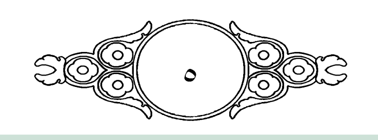
ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة. وبالجملة، تمحق بركة الدين والدنيا. فلا تجد أقلَّ بركةً في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله. وما مُحِقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق.

ومن عقوباتها: أنها تجعل صاحبَها من السِّفْلة بعد أن كان مُهَيَّأ لئن يكون من العِلْية. فإنّ الله خلق خلقَه قسمين: عِلية وسِفلة، وجعل علّيين مستقرّ العلية، وأسفل سافلين مستقرّ السفلة، وجعل أهل طاعته الأعلَين في الدنيا والآخرة، وأهل معصيته الأسفلِين في الدنيا والآخرة، كما جعل أهل طاعته أكرمَ خلقه عليه، وأهلَ معصيته أهونَ خلقه عليه، وجعل العزّة لهؤلاء، والذلّة والصغار لهؤلاء.

ومن عقوباتها: أنها تجرئ على العبد ما لم يكن يجترئ عليه من أصناف المخلوقات، فتجترئ عليه الشياطين بالأذى، والإغواء، والوسوسة، والتخويف، والتحزين، وإنسائه ما به مصلحته في ذكره، ومضرته في نسيانه، فتجترئ عليه الشياطين حتى تؤزه في معصية الله أزًا.

ويجترئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره. ويجترئ عليه أهله، وخدمه، وأولاده، وجيرانه، حتّى الحيوان البهيم!.

ومن عقوباتها: أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده، وأعلم الناس أعرفهم بذلك على التفصيل، وأقواهم وأكْيَسُهم من قوي على نفسه وإرادته، فاستعملها فيما ينفعه وكفّها عما يضرّه.







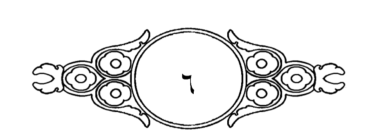

وفي ذلك تفاوتت معارفُ الناس وهممُهم ومنازلُهم. فأعرفُهم من كان عارفًا بأسباب السعادة والشقاوة، وأرشَدُهم من آثر هذه على هذه، كما أن أسفَههم من عكسَ الأمَر.

والمعاصي تخون العبد أحوجَ ما كان إلى نفسه في تحصيل هذا العلم وإيثار الحظّ الأشرف العالي الدائم على الحظّ الخسيس الأدنى المنقطع، فتحجبه الذنوبُ عن كمال هذا العلم، وعن الاشتغال بما هو أولى به وأنفع له في الدارين.

ومن عقوباتها: أنها تعمي القلب، فإن لم تُعْمِه أضعفَتْ بصيرتَه ولا بدَّ، وقد تقدم بيان أنها تضعفه ولا بدَّ، فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى، وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره، بحسب ضعف بصيرته وقوته.

ومن عقوباتها: أنها مدد من الإنسان يُمِدّ به عدوَّه عليه، وجيش يقويّه به على حربه، وذلك أن الله سبحانه ابتلى هذا الإنسان بعدوٍّ لا يفارقه طرفةَ عين، ينام ولا ينام عنه، ويغفل ولا يغفل عنه، يراه هو وقبيله من حيث لا يراه، يبذل جهده في معاداته في كل حال، ولا يدع أمرًا يكيده به يقدر على إيصاله إليه إلا أوصله، ويستعين عليه ببني جنسه من شياطين الجن، وغيرهم من شياطين الإنس، فقد نصب له الحبائل، وبغاه الغوائل، ومدّ حوله الأشراك، ونصب له الفخاخ والشِّباك.

ومن عقوباتها: أنها تنسي العبد نفسه، وإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها، فإن قيل: كيف ينسى العبد نفسه؟ وإذا نسي نفسه فأيَّ شيء يذكر؟ وما معنى نسيانه نفسه؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الحشر:١٩].








فلما نسوا ربَّهم سبحانه نسيهم وأنساهم أنفسهم كما قال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[سورة التوبة:٦٧]، فعاقب سبحانه من نسيَه عقوبتين: إحداهما: أنه سبحانه نسيه. والثانية: أنّه أنساه نفسَه.

ونسيانُه سبحانه للعبد: إهمالُه، وتركُه، وتخلّيه عنه، وإضاعتُه؛ فالهلاك أدنى إليه من اليد للفم! وأما إنساؤه نفسَه فهو: إنساؤه لحظوظها العالية وأسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وما تكمل به، يُنسيه ذلك جميعَه، فلا يُخطره بباله، ولا يجعله على ذكره،

ولا يصرف إليه همّتَه فيرغبَ فيه، فإنه لا يمرّ بباله حتى يقصدَه ويُؤثِرَه

وأيضًا فيُنسيه عيوبَ نفسه ونقصَها وآفاتها، فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها.

وأيضًا يُنسيه أمراض نفسه وقلبه وآلامَها، فلا يخطر بقلبه مداواتُها، ولا السعيُ في إزالة عللها وأمراضهَا التي تؤول به إلى الفساد والهلاك

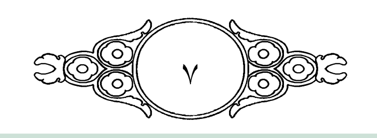
فهو مريض مثخَن بالمرض، ومرضه مُترامٍ به إلى التلف، ولا يشعر بمرضه، ولا يخطر بباله مداواته. وهذا من أعظم العقوبة العامة والخاصة.

فأيُّ عقوبة أعظمُ من عقوبة مَن أهمل نفسَه، وضيّعها، ونسي مصالحها، وداءَها ودواءَها، وأسبابَ سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم؟

ومن عقوباتها: أنها تُزيل النِّعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتُزيل الحاصل وتمنع الواصل. فإنّ نعم الله ما حُفظ موجودُها بمثل طاعته، ولا استُجلِبَ مفقودُها بمثل طاعته، فما عنده لا يُنال إلا بطاعته.

وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببًا وآفةً: سببًا يجلبه، وآفة تبطله.

فجعل أسبابَ نعمِه الجالبةَ لها طاعتَه، وآفاتِها المانعةَ منها معصيتَه.





ومن عقوباتها: أنها تباعد عن العبد وليَّه، وأنفعَ الخلقِ له، وأنصحَهم له، ومَن سعادتُه في قربه منه، وهو الملَك الموكّلُ به. وتُدني منه عدوَّه، وأغشَّ الخلق له وأعظمَهم ضررًا له، وهو الشيطان.

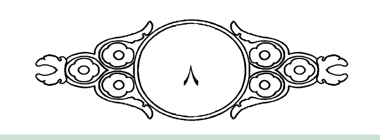
فمن عقوبة المعاصي أنّها تُبعِد من العبد وليَّه الذي سعادتُه في قربِه ومجاورته وموالاتِه، وتُدني منه عدوَّه الذي هلاكُه وشقاوتُه وفساده في قربِه وموالاتِه.

ومن عقوباتها: أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته، فإن الذنوب هي أمراض، متى استحكمت قتلت ولا بد، وكما أن البدن لا يكون صحيحًا إلا بغذاء يحفظ قوته، واستفرغ يستفرغ الموادّ الفاسدة والأخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته، وحِميةٍ يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضررَه؛ فكذلك القلبُ لا تتمّ حياتُه إلا بغذاءٍ من الإيمان والأعمال الصالحة يحفظ قوته، واستفرغ بالتوبة النصوح يستفرغ الموادّ الفاسدة والأخلاط الرديئة منه، وحميةٍ تُوجب له حفظ الصحة وتجنّب ما يضادها، وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضادّ الصحة. والتقوى اسم متناول لهذه الأمور الثلاثة، فما فات منها فات من التقوى بقدره.

وإذا تبين هذا فالذنوب مضادّة لهذه الأمور الثلاثة، فإنها تستجلب الموادّ المؤذية، وتُوجب التخليطَ المضادَّ للحِمية، وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح.

فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الأخلاط الرديئة وموادّ المرض، وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها، كيف تكون صحته وبقاؤه؟

فمن حفظ القوةَ بامتثال الأوامر، واستعمل الحِمْيةَ باجتناب النواهي، واستفرغ التخليطَ بالتوبة النصوح لم يدَعْ للخير مطلبًا، ولا من الشرّ مهربًا. والله المستعان.








تم بحمد لله وعونه ما أردنا اختصاره، من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حرصت في ذلك على لفظه من غير تصرف، أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن تقبل هذا العمل وأن ينفعني به في الدارين ومن اطلع عليه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اختصار/ أبو عبدالله
محمد بن عبدالله بن محمد حزام العبدلي
غفر الله له ولوالديه وأزواجه وذريته وجميع المسلمين
اليمن – صنعاء

ليلة الثلاثاء – ١١ شهر رجب عام ١٤٤٥ هجرية

